١ - برنامج جُمل العلم السُّنَّة الأولىٰ، الكتاب التَّاسع - الكُويت - الثلاثاء ١٦ جمَادىٰ الأولىٰ ١٤٣٢هـ
٢- ((المجلس الشَّهري، المدينة النبويَّة- مسجد رسول الله ﷺ - يوم الخميس ١٢ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ.))

تعلِيقَات علىٰ

مَعَانِي الْفَاتِحَة وَقِصَار الْمُفَصَّل

الشَّيخ صَالح بن عبد الله العُصَيْمِي

النُّسخة الإلكترونية الثَّالثة

تفريغ مدمج

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّٰهمَّ إنِّي أبرأُ إليك من كلِّ حولٍ وقوَّةٍ إلَّا بك وحدَك.

الحمـد لله الـدَّائم توفيقُـه، المتـواترِ عطـاؤه وتسـديدُه، وأشـهدُ أنَّـه هـو الإلـهُ الحـقُّ المبـينُ، لا إلٰـه إلَّا الله العظيمُ الحليمُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا خاتَمُ النبيِّين ﷺ وعلىٰ آله وصحبه والتَّابعين.

وبعد، فإنَّ هٰذا التَّفريغ هو دمجٌ لتعليقين للشَّيخ صالح بن عبد الله العُصيمي حفظه الله، معتمدًا علىٰ تعليقات (برنامج جمل العلم، بالكويت)، وما أضفته من اللقاء الشهري: بالمسجد النبوي كان بين ((..)).

والشيخ حفظه الله لم يراجع هٰذا التفريغ فإن وجدتم ما يحتاج للمراجعة فراسلوني علىٰ البريد:

attafreegh@gmail.com

واللهَ أسأل الإخلاص في القول والعمل.

أخوكم سالم بن محمَّد الجزائري

ينبع: ٢٥/ شعبان/ ١٤٣٢هـ

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحمدُ لله الذي جعل مهمَّات الدِّيانة في جُمَل، والصَّلاةُ والسَّلام علىٰ عبدِه ورسوله محمَّدٍ المبعوثِ قدوة العلم والعمل، وعلىٰ آله وصحبه ومَن دينَه حَمَل.

أمَّا بعدُ..

فهٰذا شرْحُ (**الكتاب التَّاسع**) من برنامج (**جُمل العلم**) في سنته الأُولىٰ (سنة ١٤٣٢هـ) بدولته الأُولىٰ دولة الكويت، وهو كتابُ «**مَعَانِي الفَاتِحَة وَقِصَار المفصَّل**» لمعدِّ البرنامج صالح بن عبد الله بن حمد العُصيمي.

((وأودّ أن أنبِّه أيُّها الإخوان إلىٰ أصل أصيل في أخذ العلم فإنَّ مردَّ العلم إلىٰ رعاية ثلاثة أُمُور:

أحدُها: لفظٌ يحفظ.

وثَانيها: معنًىٰ يفهم.

وثَالثها: مقتضًىٰ يُرعىٰ ويُعمل به.

فالعلم يُدرك بثلاثة أمور عظيمة:

أحدُها: الحفظ، ومتعلَّقه المباني.

وثانيها: الفهم، ومتعلَّقه المعاني.

وثالثها: العمل، ومتعلَّقه ما تقتضيه تلك المباني والمعاني، وتستحقُّه من الرِّعاية.

فمن أخذ العلم بهذه الطَّريق -وهي طريقة السَّلف رحمهم الله تعالىٰ- فإنَّه يحصِّله، وكثيرًا ما تسمع إشادةً بالحفظ والفهم مع إغفال العمل، وهو من أسباب فوت العلم الخلقَ، فإنَّ علوم العبد إنَّما تكون له علىٰ قدر عمله، وكلام السَّلف في هٰذا المعنىٰ كثيرٌ.

فينبغي أن يعتني الطَّالبُ بالحفظ والفهم والعمل، ويجمع نفسه علىٰ هٰذه الثَّلاثة؛ فإنَّه إذا جمع نفسه علىٰ هٰذه الثَّلاثة أدرك العلم.

ومفتاح هٰذه الثَّلاثة هو الحفظ؛ لأنَّ الإنسان له قوَّتان عظيمتان تُعينانه علىٰ إدراك العلم أشار إليهما أبو العباس ابن تيمية الحفيد، وذلك موجودٌ في كلام بعض فلاسفة اليونان القدامىٰ:

فالقوَّة الأولىٰ: قوة الحفظ.

والقوَّة الثَّانية: قوة الفهم.

وهاتان القوَّتان محلُّهما العقل، وقد ذكر الوشلي في «نشر الثَّناء الحسن» عن بعض شرَّاح الرَّحبية ولم

يسمِّه أنَّ للعبد في العلم قوَّتان متىٰ غلَّب إحداهما أضرَّت بالأخرىٰ، وهما الحفظ والفهم، وصدق رحمه الله، فإنَّ من غلَّب الحفظ دون فهم أضرَّ بالفهم، ومن غلَّب الفهم بلا حفظٍ أضرَّ بالحفظ.

فينبغي أن يسير الطَّالب سيرًا حسنًا هيئته في ذلك كصورة الطَّائر، فالحفظ والفهم جناحان، والعمل والرِّعاية رأس، فمن كان أخذه للعلم علىٰ هٰذه الصُّورة فإنَّه يحصِّلُ العلم، وبدون رعاية هٰذه الصُّورة يفوت العلم من العبد، فمن رام العلم فليعتني بحفظ ما يحتاج إليه، ثم ليجتهد في فهم معانيه، ثم ليرقُب حقَّ الله ﷻ فيه بالعمل والرِّعاية)).

قال المصنِّف[١] حفظه الله تعالىٰ:

بسم الله الرَّحمن الرحيم

الْـحَمْدُ لله الَّذِي جَعَلَ الْقُرْآنَ لِكُلِّ شَيْءٍ تِبْيَانًا، وَرَزَقَ بِهِ مَـنْ شَـاءَ مِـنْ عِبَـادِهِ عِلْمًـا وَإِيمَانًـا، وَالصَّـلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ الْمُنْزَلِ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ انْتَمَىٰ فِي الهُدَىٰ إِلَيْهِ.

أَمَّا بَعْدُ؛

فَإِنَّ مَعْرِفَةَ آحَادِ الْـمُفْرَدَاتِ؛ تُعِينُ عَلَىٰ فَهْمِ الْـجُمَلِ الكُلِّيَّاتِ، وَمَعْرِفَةَ مَعَانِي كَلِمِ الْقُـرْآنِ، تُيَسِّـرُ إِدْرَاكَ مَا لَهُ مِنَ الْـهُدَىٰ وَالْبَيَانِ.

وَهٰذِهِ نُبْذَةٌ مُخْتَصَرَةٌ، وَتُحْفَةٌ مُعْتَصَرَةٌ، مِنَ المُوَضِّحِ المُحَصَّلِ، فِي مَعَانِي كَلِمَاتِ سُورةِ الْفَاتِحَةِ وَقِصَـارِ المُفَصَّلِ، وَاللهُ الْـمَسْؤُولُ المُؤَمَّلُ؛ أَنْ يَعْفُوَ وَيَتَقَبَّلَ.[٢]

---

(١) ((إذا قُرِئ علىٰ المصنِّف لا يقال: قال الشَّيخ صالح، أحسن أن يقال: قُلتم حفظكم الله، هٰذا النَّسق المعروف في القراءة إذا قرئ علىٰ المصنِّف.))

(٢) بيَّن المصنِّفُ وفقه الله أهمِّية الحاجة إلىٰ معرفة معاني كلمات القرآن؛ بتوقُّـفِ فَهْـمِ الجمـل الكلِّيـات علـىٰ معرفـة آحـاد المفردات، فإنَّ من كانت له معرفة بمعاني كلم القرآن تيسَّر له إدراكُ ما فيه من الهُدىٰ والبيان، فمعرفة معاني الكلام الـوارد في القرآن مِرقاةٌ إلىٰ فهمه، والاطِّلاع علىٰ ما فيه من أحكام الخبر والطَّلَب. ومـن جُمـل مـا يُعـين علـىٰ ذلـك هٰـذه النُّبـذة المُختصرة والتُّحفة المعتصرة المقتصِرَة علىٰ بيان معاني كلمات سورة الفاتحة وقصار المفصَّل؛ لأنَّ الفاتحـةَ هـي أعظـم القرآن، وقِصار المفصَّل هو أكثر الدَّائر علىٰ اللِّسان، فمعرفةُ معاني هٰذا وذاك ممَّا يكون زادًا للمرء في فهم كلام الله ﷻ.

((هٰذا الأنموذج من هٰذه الجملة في التَّفسير اختير لها اسم «معاني الفاتحة وقصار المفصَّل» ولـم يخـتر لهـا مـا دأب عليـه المتأخِّرون من تسميتهم معاني كلمات القرآن، أو معاني كلمات الفاتحة وقصـار المفصَّـل؛ لأنَّ سـنن الأقـدمين تسـميتها معاني، وفيها كتاب «معاني القرآن» للزَّجّاج، وكتاب «معاني القرآن» للفرَّاء، وكتـاب «معـاني القـرآن» للنَّحَّـاس في آخـرين، فالتَّسمية المذكورة الشَّائعة الآن متأخِّرة مولَّدة، والأنسب الاقتداء بالأوائل من العلماء في تسمية ذلك معاني القرآن لا معاني مفرداته أو معاني كلماته.))

مَعَانِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

﴿ٱللَّهِ﴾: عَلَمٌ عَلَىٰ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ، وَمَعْنَاهُ: الْـمَأْلُوهُ الْـمُسْتَحِقُّ لِإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ.(١)

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسْمَانِ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَىٰ، دَالَّانِ عَلَىٰ رَحْمَتِهِ.(٢)

﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾: هُوَ الْإِخْبَارُ عَنْ مَحَاسِنِ الْـمَحْمُودِ مَعَ حُبِّهِ وَتَعْظِيمِهِ.(٣)

---

(١) قوله: (وَمَعْنَاهُ: الْـمَأْلُوهُ) أَي: الْـمُعَظَّم بالحب والخضوع، فإنَّ حقيقة التَّأليه ترجع إلىٰ وجود هٰذين المعنيين، وإلىٰ ذلك أشرتُ بقولي:

وَعِبَادَةُ الرَّحمٰنِ غَايَةُ حُبِّهِ ... وَخُضُوعُ قَاصِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ

فإذا وُجد هٰذا المعنىٰ في إرادةٍ ما كان ذلك تأليهًا، وبهذا بالقيد يحصل الفُرقان بين ما يكون تألُّهًا وعبادة وبين ما لا يكون كذلك، والحبُّ الذي يكون عبادةً هو ما اشتمل علىٰ التَّعظيم والإجلال لله ﷻ، و[الخضع] الذي يكون عبادة هو ما اشتمل علىٰ الإجلال والتَّعظيم لله تعالىٰ.. وهلمّ جرًّا، فإنْ خلا من ذلك المعنىٰ خلا من معنىٰ التَّأليه.

(٢) وأحسن ما قيل في الفرق بينهما:

أنَّ الرَّحمٰن: اسمٌ دالٌّ علىٰ الله ﷻ حالَ تعلُّق صفة الرَّحمة به.

وأنَّ الرَّحيم: اسمٌ دالٌّ علىٰ الله تعالىٰ حال تعلُّق صفة الرَّحمة بالمرحومين.

واختاره ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في «بدائع الفوائد»، وأشرتُ إلىٰ ذلك بقولي:

وَرَحْمَةٌ بِاللهِ مَهْمَا عُلِّقَتْ ... بِذَاتِهِ فَالِاسْمُ رَحْمَانٌ ثَبَتْ

أَوْ عُلِّقَتْ بِخَلْقِهِ الَّذِي رَحِمْ ... فَسَمِّهِ الرَّحِيمَ فَازَ مَنْ سَلِمْ

(٣) قوله: (مَعَ حُبِّهِ وَتَعْظِيمِهِ) قيد مُخرجٌ للمدح، فإنَّ الإخبار عن محاسن المحمود مع التَّجرُّد منهما مدحٌ لا حمدٌ، فكلُّ حمدٍ مدح، وليس كلُّ مدح حمدًا.

((من النُّكت اللَّطيفة في هٰذا المحل أنَّ (الحمد) حيث ورد في القرآن فإنَّه أضيف إلىٰ الاسم الأحسن (الله) فقيل: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾، وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾[الأنعام:١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[الأعراف:٤٣] الآية، ولم يأت في القرآن إضافته إلىٰ غير هٰذا الاسم الأحسن، هل جاء في القرآن الحمد للرَّحمٰن، الحمد للكريم؟ الجواب: لا، لماذا؟ لبيان أنَّ موجب استحقاق الله الحمد هو كونه الله، فهو حُمد لأنَّه المستحق

=

﴿رَبِّ﴾: الرَّبُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمَالِكُ، وَالسَّيِّدُ، وَالْمُصْلِحُ لِلشَّيْءِ.[(١)]

﴿الْعَالَمِينَ﴾: جَمْعُ عَالَمٍ، وَهُوَ اسْمٌ لِلْأَفْرَادِ الْمُتَجَانِسَةِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَكُلُّ جِنْسٍ مِنْهَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ عَالَمٌ، فَيُقَالُ: عَالَمُ الإِنْسِ، وَعَالَمُ الْجِنِّ، وَعَالَمُ الْمَلَائِكَةِ.[(٢)]

﴿يَوْمِ الدِّينِ ④﴾: يَوْمِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.[(٣)]

=

لذلك بكونه إلٰها أي معبودا معظَّمًا، فلم يُحمد ﷻ لأجل كونه رحمانًا فقط أو لأنه رحيمٌ فقط؛ بل حمد ﷻ لمعنىٰ أعظم من ذلك وهو كونه ﷻ مألوهًا معبودًا، فوقع التَّصرُّف القرآني علىٰ هٰذا النَّسق ابتغاء هٰذا المقصد.))

(١) نصَّ علىٰ هٰذا جماعة من أهل اللِّسان منهم ابن الأنباري، فما ذُكر عند المتأخِّرين من المعاني المتعدِّدة للرَّبّ يرجع إلىٰ هٰذه الثَّلاثة، فالثَّلاثة المذكورات هُنَّ أصول معاني الرَّب الَّتي بلَّغها أحمد بن أحمد السُّجاعي إلىٰ ثلاثين معنًىٰ في منظومة مشهورة له.

((أكثر ما جاء اسم الرَّبّ في القرآن مضافًا مثل: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ②﴾ ومثَّل ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ولم يأت غير مضاف إلَّا في موضع واحد في سورة «يس» في قوله تعالىٰ: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ٥٨﴾ فلماذا اتَّفق كون التَّصرُّف القرآني لا يذكر فيه اسم (الرَّب) إلَّا مضافًا؟ الجواب: لإظهار مقتضىٰ الرُّبوبيَّة فإنَّ موجب كونه ﷻ ربًّا هو اندراج هٰذه الأفراد تحت مِلكه وتصرُّفه ﷻ؛ فهو ربُّ العالمين وهو ربُّ السَّمٰوات والأرض وهو ربُّ موسىٰ وهارون.. وَفْق ما جاء في آيات القرآن الكريم.))

(٢) ذكر المصنِّف وفقه الله معنىٰ ﴿الْعَالَمِينَ﴾ وَفق ما دلَّ عليه الوضع اللُّغوي، فإنَّ الوضع اللُّغويَّ مخصِّصٌ معنىٰ العالمين للأفراد المتجانسة؛ أي المتشاركة بالمشابهة بينها، ومن ذلك عالم الجنِّ وعالم الإنس وعالم الملائكة وهلمَّ جرًّا، وما لم يكن من الأفراد المتجانسة لم يسمَّ عالَمًا، وليس كلُّ مخلوقات الله من الأفراد المتجانسة؛ بل الجنَّةُ والنَّار والعرش والكرسيُّ الإلهيَّان أفراد لا جنس لها، وبه يُعلم أنَّ قول القائل: العالمين اسم لكل ما سوىٰ الله. ليس من دَلالة الوضع اللُّغوي؛ بل هو معنًىٰ أجنبي دخيلٌ نشأ من علم الفلسفة، فإنَّ الفلاسفة رتَّبوا مقدِّماتٍ أنتجوا منها نتيجة فقالوا: الله قديمٌ والعالَم حادثٌ، وكلُّ ما سوىٰ الله عالم، فاشتُهِرت هٰذه المقدِّمة معنًىٰ للعالمين، وليست كذلك، فإنَّ (العالمين) في لسان العرب لا تكون بهذا المعنىٰ، وإنَّما تختصُّ بالأفراد المتجانسة، وما ليس من الأفراد المتجانسة فلا يندرج في هٰذه الحقيقة. أفاده الطَّاهر بن عاشور في «التَّحرير والتَّنوير».

(٣) فالدِّين جامع بين شيئين:

أحدهما: الحساب، وهو مقدِّمته.

والآخر: الجزاء، وهو خاتمته.

فإنَّ العبد يحاسَب، ثم يُجزىٰ علىٰ عمله، واجتماعهما يسمَّىٰ دينًا، ويومُ الدِّين الذي يكون فيه هٰذا وذاك هو يوم القيامة.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: نَخُصُّكَ وَحْدَكَ بِالْعِبَادَةِ.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾: نَسْتَعِينُ بِكَ وَحْدَكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا.[1]

﴿ٱهْدِنَا﴾: دُلَّنَا وَأَرْشِدْنَا.

﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: الْإِسْلَامَ.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: الْـمُتَّبِعِينَ لِلْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[2]

﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: الَّذِينَ عَرَفُوا الْـحَقَّ وَلَـمْ يَعْمَلُوا بِهِ؛ وَهُمُ الْيَهُودُ.

﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾: الَّذِينَ تَرَكُوا الْـحَقَّ عَنْ جَهْلٍ فَلَمْ يَهْتَدُوا وَضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ؛ وَهُمُ النَّصَارَىٰ.

مَعَانِي سُورَةِ الضُّحَىٰ

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ

---

(١) ما ذكره المصنِّف وفَّقه الله من إرادة التَّخصيص في شطري الآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ بقوله في كلٍّ منهما: (وحدَك) مستفادٌ من كون البناء المذكور موضوعًا للحصر، والحصرُ: هو تخصيص أمرٍ مُطلق بأمر يقيِّده، وإلىٰ ذلك أشار الأخضري بقوله في «الجوهر المكنون»:

تَخْصِيصُ أَمْرٍ مُطْلَقٍ بِأَمْرِ ... هُوَ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِالْقَصْرِ

وهو الذي يعبِّر عنه الأصوليُّون بالحصر، وطرائقُه متعدِّدة منها تقديم ما حقُّه التَّأخير، أو تأخير ما حقُّه التَّقديم، وأصلُ بناء الكلام: نعبد إيَّاك، ونستعينُ بك. فلمَّا قُدِّم ما حقُّه التَّأْخير دَلَّ علىٰ قَصْرِ المذكور في الآية علىٰ الله ﷻ، فالعبادة هي لله وحده، والاستعانةُ هي بالله وحده.

وتقدَّم أنَّ هٰذا الضَّمير المنفصل المُفرَد (إيَّاك) لم يأت في القرآن إلَّا في هٰذا الموضع تعظيمًا لشأن الاستعانة والعبادة.

(٢) ((في هٰذه الآية أضاف الله عَزَّ وَجَلَّ الصِّراط إلىٰ سالكيه فقال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام:١٥٣] فأضاف الصِّراط إلىٰ نفسه، فإضافة الصِّراط وقعت في القرآن علىٰ نوعين:

أحدهما: إضافة الله عَزَّ وَجَلَّ الصِّراط إلىٰ نفسه.

والآخر: إضافة الله عَزَّ وَجَلَّ الصِّراط إلىٰ سالكيه.

والفرق بين الإضافتين أنَّ إضافته إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ باعتبار كونه واضعه وشارعه، وأنَّ إضافته إلىٰ السَّالكين باعتبار أنَّهم الَّذين آمنوا وسلكوا هٰذا الصِّراط المستقيم، أشار إلىٰ هٰذا المعنىٰ أبو العباس ابن تيمية الحفيد وبسَطَه تلميذه ابن القيم في صدر «مدارج السَّالكين».))

رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ

﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾

﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾: اسْمُ ضَوْءِ الشَّمْسِ إِذَا أَشْرَقَ وَارْتَفَعَ، وَالْـمُرَادُ بِهِ هُنَا النَّهَارُ كُلُّهُ. (١)

﴿سَجَىٰ﴾ :سَكَنَ بِالْـخَلْقِ وَثَبَتَ ظَلَامُهُ. (٢)

﴿مَا وَدَّعَكَ﴾: مَا تَرَكَكَ.

---

(١) قوله: (وَالْـمُرَادُ بِهِ هُنَا النَّهَارُ كُلُّهُ) إشارة إلىٰ وقوعه علىٰ غير هٰذا المعنىٰ في موضع آخر، فإنَّ (الضُّحىٰ) يجيء في القرآن علىٰ معنيين:

أحدهما: معنًىٰ عام، وهو النَّهار كلّه.

والثَّاني: معنًىٰ خاص، وهو بعض النَّهار؛ ممَّا يكون أوَّله.

فإذا وقع مقابلًا للَّيلِ حُمل علىٰ المعنىٰ الأوَّل، وإذا وقع مقابلًا للعَشيِّ حُمل علىٰ المعنىٰ الثَّاني.

ومن الأوَّل: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾[النَّازعات]؛ يعني: أظلم ليلَها وجعل نهارَها بيِّنًا واضحًا.

ومن الثَّاني: قوله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾[النَّازعات] فـ((حينئذٍ)) يكونُ الضُّحىٰ اسمُ طرف النَّهار الأوَّل، والعشيَّة اسمُ طرف النَّهار الثَّاني، وهو في سورة الضُّحىٰ واقعٌ مقابلًا للَّيل، فصار معناهُ في هٰذه السُّورة النَّهار.

(٢) قوله: (وَثَبَتَ ظَلَامُهُ) أي: تمكَّن ((واستحكم))، فالتَّسجيَّة التَّغطية، ولا تكون وصفًا للَّيل إلَّا إذا تمكَّن؛ فإنَّ ابتداء اللَّيل يكون بالغَشَيان وهو المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾، فإذا استحكم وتمكَّن واشتدَّ صار تسجية؛ ((لأنَّ اسم الغشاء يكون لما رقَّ وخفَّ، وحينئذ يكون قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾ إذا ابتدأ ودخل النَّاس في أوَّله، وقوله : ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾ يكون ذكرًا للَّيل إذا استحكم وتمكَّن بالخلق، والآية الأولىٰ من سورة الليل: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾ فيها إشارة إلىٰ وقت صلاة المغرب، والآية الأخرىٰ في سورة الضُّحىٰ فيها إشارة إلىٰ وقت صلاة العشاء، وحينئذ تكون الصَّلوات قد أُقسم بأوقاتها في القرآن الكريم:

فأمَّا صلاة العشاء ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾.

وأمَّا صلاة المغرب ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾.

وأمَّا صلاة العصر ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾﴾.

وأمَّا صلاة الفجر ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾﴾.

وأمَّا صلاة الظُّهر ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾[اللَّيل]، وأيضًا قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ لأنَّ الضُّحىٰ منتهاه إلىٰ الظُّهر، والشَّيء يُضاف إلىٰ ما جاوره.

فتكون أوقات الصَّلوات الخمس قد ذُكرت مُقْسَمًا بها في القرآن الكريم.))

﴿وما قَلَى﴾: وَمَا أَبْغَضَكَ.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾: وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا.(١)

﴿فَـَٔاوَىٰ﴾: فَضَمَّكَ إِلَىٰ مَنْ يَكْفُلُكَ، وَجَعَلَ لَكَ مَأْوًىٰ تَأْوِي إِلَيْهِ.

﴿ضَآلًّا﴾: لَا تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ.(٢)

﴿فَهَدَىٰ﴾: فَدَلَّكَ وَأَرْشَدَكَ.

﴿عَآئِلًا﴾: فَقِيرًا.

﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾: فَلَا تَغْلِبْهُ مُسِيئًا مُعَامَلَتَهُ.

﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾: فَلَا تَزْجُرْ.

مَعَانِي سُورَةِ الشَّرْحِ

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾

﴿وَوَضَعْنَا﴾: وَحَطَطْنَا.

﴿وِزْرَكَ﴾: ذَنْبَكَ.

﴿أَنقَضَ﴾: أَثْقَلَ.

﴿ٱلْعُسْرِ﴾: الشِّدَّة.

(١) قوله: (وَلَلدَّارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا) أصل كلمة (خير): أخير؛ فهي من أفعل التَّفضيل؛ لٰكن لدورانها وشيُوعها علىٰ ألسنتهم هي وأختها (أشَر) أسقطت العرب الهمزة منهما، وفي ذلك قال ابن مالك في «الكافية الشَّافية»:

غالبًا أغناهم خير وشر عن قولهم: أخْيَر منه وأشر.

(٢) تفسير الضَّلال بقوله: (لَا تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) تعويلٌ علىٰ قوله تعالىٰ في وصف رسوله ﷺ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾[الشورىٰ:٥٢]، والتَّعبير بالوارد في الخطاب القرآني أوْلىٰ من اختراع معانٍ في تفسير الضَّلال، ربَّما كان فيها ما يتنقَّص المقامَ النَّبوي، وممَّا ينبغي أن يلاحظه الإنسان أنَّ ما يتعلَّق بالنَّبي ﷺ ينبغي أن يحرص المرء علىٰ تطهير لسانه فيه كما يحرص علىٰ تطهير لسانه فيما يتعلَّق بالوصف الإلهي ملاحظةً لجلالة مقام الله ومقام رسوله ﷺ.

﴿يُسْرًا﴾: سُهُولَةً.[١]

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾: فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ عَمَلٍ بِإِتْمَامِهِ؛ فَأَقْبِلْ عَلَىٰ عَمَلٍ آخَرَ.

مَعَانِي سُورَةِ التِّينِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: الطُّورُ: الجَبَلُ، و«سِينِينَ» لُغَةٌ فِي سِينَاءَ[٢] وَهِيَ صَحْرَاءُ بَيْنَ مِصْرَ وَبِلَادِ فِلَسْطِينَ.

﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: مَكَّةَ الْـمُكَرَّمَةَ لِأَمْنِ النَّاسِ فِيهَا.[٣]

﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾: إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ.[٤]

﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غَيْرُ مَشُوبٍ بِكَدَرِ الْـمَنِّ، وَلَا يَلْحَقُهُ الانْقِطَاعُ.

---

(١) قوله: (﴿الْعُسْرِ﴾: الشِّدَّة، ﴿يُسْرًا﴾: سُهُولةً.) يعني في الآيتين جميعًا، فإنَّ معنىٰ الآية: فإنَّ الشِّدَّة التي أنت فيها ستأتي باليُسر. ثم أعاد الجُملة الثَّانية علىٰ معناها. والعُسر المراد فيها هو العُسر الذي عهده النَّبي ﷺ ممَّا جرىٰ له صلواتُ الله وسلامه عليه.

(٢) ((سِينَاء وسَيْنَاء كلاهما لغتان قُرئ بهما)).

(٣) تفسير الآيتين الثَّانية والثَّالثة بإرادة الموضع من الأرض دالٌّ علىٰ أنَّ المُراد بالآية الأولىٰ هو موضع أيضًا، وإنَّما ذُكرت شجرتا التِّين والزَّيتون للدَّلالة عليه، فهو موضع ينبت فيه من الشَّجر التِّين والزَّيتون، وهي أرضُ الشَّام.
فهٰذه السُّورة فيها الإشارة إلىٰ بلاد الشَّام، وبلاد سِيناء وهي الصَّحراء المعروفة، ومكَّة المكرَّمة. وهٰذه المواضع الثَّلاثة فيها دعوةُ أكثر الأنبياء، ولا تنحصر فيها، فإنَّ من الأنبياء من كان في غيرها كإبراهيم -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فإنَّ ابتداء أمره كان في أرض بابل من العراق.

(٤) تفسير السُّفل المذكور في الآية بالرَّدِّ إلىٰ نار جهنَّم هو المناسب للامتنان المذكور في الآية قبلها ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ وهٰذا التَّقويم الأحسن يشمل النَّوعين:
أحدهما: التَّقويم الأحسن في البَاطن بالفطرة علىٰ التَّوحيد.
والثَّاني: التَّقويم الأحسن بالظَّاهر بتجميل سورة الإنسان.
والمناسب للكمال المُمتنِّ به علىٰ الإنسان باطنًا وظاهرًا أن يُردَّ عند كُفره إلىٰ ما يذهب به ذلك الكمالُ بالكلِّية؛ وهو دخولُه النَّار.

﴿بِٱلدِّينِ﴾ بِالْحِسَابِ وَالْـجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.(١)

مَعَانِي سُورَةِ الْعَلَقِ

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾

﴿عَلَقٍ﴾: جَمْعُ عَلَقَةٍ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الدَّمِ الْغَلِيظِ.(٢)

﴿بِٱلْقَلَمِ﴾: بِالْخَطِّ وَالْكِتَابَةِ.(٣)

﴿لَنَسْفَعًۢا﴾ السَّفْعُ: الْقَبْضُ الشَّدِيدُ بِجَذْبٍ.(٤)

﴿بِٱلنَّاصِيَةِ﴾: مُقَدَّمِ شَعَرِهِ.(٥)

---

(١) ((لأنَّه تقدَّم في تفسير «سورة الفاتحة» وكان المفسِّرون الأقدمون يُعذرون في اختلاف عباراتهم لطول الكتاب وصعوبة الرُّجوع إليها، أمَّا اليوم مع هٰذه الأجهزة الحاسوبيَّة يمكن أن يعرف الإنسان ماذا قال في موضع وماذا قال في آخر، فإذا أردت أن تكتب شيئًا من التَّفسير علىٰ موضعين في القرآن فانظر إلىٰ تكرّرهما لئلا تكون لك عبارة في موضع وعبارة أخرىٰ في موضع، فإنَّ هٰذا واقع في أكثر تفاسير الأوَّلين لصعوبة الرُّجوع إلىٰ الموضع الأوَّل ونسيانه مع طول المدَّة في التَّأليف والتَّصنيف)).

(٢) وقع الإخبار عن خلق الإنسان من علق جمعًا بخلاف الواقع في السُّنّة من ذِكْرِ ذلك بالإفراد تعظيمًا له، فإنَّ المشهدَ المذكور في هٰذه الآية مشهدُ امتنان، ومشهد الامتنا ان يناسبه الجمع، وما في السُّنَّة من حديث عبد الله بن مسعود في «الصَّحيحين» وغيره من الأحاديث النَّبوية مشهدُ إخبار، فناسبه الإفراد علىٰ حقيقة الحال.

(٣) تفسير القلم بأثره تنبيهٌ إلىٰ أنَّ الامتنان بآلة الكتابة (القلم) تعريفٌ بالمقصود منها وهو الخطُّ والكتابة.

(٤) ((السَّفع غير الصَّفع، فهما يشتركان في كون السِّين والصَّاد كلاهما من حروف الصَّفير؛ لٰكِن يفترقان في المعنىٰ، والفرق بينهما: أنَّ الصَّفع ليس فيه جذب بخلاف السَّفع؛ فإنَّه يكون مشتملًا علىٰ الجذب.))

(٥) ((لماذا ذُكرت النَّاصية دون بقيَّة الرَّأس فقيل: ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ ولم يقل: لنسفعًا برأسه أو بشعره؟

لأنَّ النَّاصية وهي مقدَّم الشَّعر أشرف ما في الإنسان فإنَّ العربيّ الأبيّ والإنسان الحرّ كيف ما كان جنسه يأبىٰ أن يؤخذ بناصيته لما في ذلك من الإذلال.

=

﴿الزَّبَانِيَةَ﴾ هُمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، سُمُّوا زَبَانِيَةً لِأَنَّهُمْ يَزْبُنُونَ أَهْلَ النَّارِ؛ أَيْ: يَدْفَعُونَهُمْ بِشِدَّةٍ.

مَعَانِي سُورَةِ الْقَدْرِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾.

﴿ٱلْقَدْرِ﴾: الشَّرَفِ الْعَظِيمِ.

﴿وَٱلرُّوحُ﴾ هُوَ جِبْرِيلُ.(١)

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾: بِأَمْرِهِ.

مَعَانِي سُورَةِ الْبَيِّنَةِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾
فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ
جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ

=

للفائدة: قال لي بعض الأطبَّاء أنَّ ذِكر النَّاصية؛ لأنَّ أعظم مراكز الذِّهن في الفهم والحفظ هي في النَّاصية، وهو رئيس الاتِّحاد العالمي للأعصاب، فعندهم في الدِّراسات المعاصرة الطِّبِّيَّة أشارُوا إلىٰ هٰذا المعنىٰ)).

(١) تفسير الرُّوحَ في هٰذه الآية بأنَّه جبريل لا يخالف قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء:٧٥] لأنَّ الرُّوح تجيء علىٰ ((أكثر من معنىٰ)):

أحدُهما: معنًىٰ عام، وهو ما به قوام النَّفس البشريَّة من الحياة، وحقيقة كنهه لا عِلْم بها، ومردُّها إلىٰ الله.

والثَّاني: معنًىٰ خاص، وهو جبريل -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، سُمِّي روحًا لأنَّه ينزل علىٰ الأنبياء بما به حياة أرواح الخلق علىٰ الحقيقة؛ وهو شرع الله ﷻ، فالله ﷻ اختصَّ هٰذا الملك باسم الرُّوح للدَّلالة علىٰ المقصود، وتأكيدًا له سُمِّي النَّازل به علىٰ محمَّد ﷺ روحًا، فالقرآنُ روحٌ نزل به الرُّوحُ لحياة الرُّوح. ذكر هٰذا المعنىٰ ابن القيم رحمه الله تعالىٰ. ((سمَّىٰ كتابه روحًا في قوله تعالىٰ: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾[الشُّورىٰ:٥٢]، وسمَّىٰ النَّازل به روحًا وهو جبريل؛ لأنَّ حياة الرُّوح تكون به)).

عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

﴿مُنفَكِّينَ﴾: زَائِلِينَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ، تَارِكِينَ لَهُ.(١)

﴿مُّطَهَّرَةٗ ﴿٢﴾﴾: مُنَزَّهَةً عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ.

﴿قَيِّمَةٞ ﴿٣﴾﴾: مُسْتَقِيمَةٌ.(٢)

﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: قَاصِدِينَ بِعِبَادَتِهِمْ وَجْهَهُ، فَالْإِخْلَاصُ هُوَ تَصْفِيَةُ الْقَلْبِ مِنْ إِرَادَةِ غَيْرِ اللهِ.

﴿حُنَفَآءَ﴾: مُقْبِلِينَ عَلَيْهِ مَائِلِينَ عَمَّا سِوَاهُ.(٣)

---

(١) فسَّر المصنِّفُ وفَّقه الله الانفكاك بالزَّوال والتَّرك، فمعنىٰ الآية أنَّ الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين سيبقَوْن زائلين عمَّا هم عليه تاركين له حتَّىٰ تأتيهم بيِّنة تردُّهم إلىٰ الحقِّ، وهٰذه الآية ذكر الرَّازي في «تفسيره» وجماعة: أنَّها أغمضُ آية في القرآن الكريم؛ لأنَّ ظاهرَها مخالفٌ لما وقع، فإنَّ معنىٰ الآية أنَّ هؤلاء من المُشركين وأهل الكتاب سيبقَوْن علىٰ ما هم عليه من كُفرهم وشركهم حتىٰ تأتيهم بيِّنةٌ من الله وهي رسول الله ﷺ، فعند ذلك يتركُون ما هم عليه، ولم يتَّفق وقوعُ الأمر كذلك؛ بل لما جاء إليهم النَّبي ﷺ منهم من أسلم ومنهم من بقِيَ علىٰ كُفره، فغَمُض معناها لأجل مخالفة ما فيها لما جرىٰ من قدر الله.

والجواب عن هٰذا الإشكال بأنَّ سياق هٰذه الآية لا يُراد به الخبر، وإنَّما يراد به التَّقريع ((والتَّوبيخ)) والتَّبكيت لهم علىٰ حالهم التي سيكونون عليها من أنَّهم سيبقون علىٰ ذلك ولو أتاهم رسولٌ يتلو عليهم كُتبًا مطهَّرة.

(٢) قوله: (﴿قَيِّمَةٞ ﴿٣﴾﴾: مستقيمةٌ.) أي: مطبوعةٌ علىٰ وَفق الاستقامة، وما يجري علىٰ لسان النَّاس في وصف الكتب: كتب قيِّمة، أي: ذات قِيمَة ((ونفاسَة)) ليس من كلام العرب، ولا تعرف العرب هٰذا اللَّفظ علىٰ هٰذا المعنىٰ.

(٣) تقدَّم أنَّ (الحنف) حقيقة في الإقبال علىٰ الله ولازمه الميل لا العكس، وتفسير الحنف بالميل من تفسير اللَّفظ بلازمه لا بحقيقته، ((واللَّفظ يُفسَّر بحقيقته لا بلازمه، فالحنيف هو المقبل المائل عمَّا سواه، وإنَّما ذُكر (المائل) استطرادًا، فحقيقة الحنف الإقبال، لٰكن أهل العلم ذكروا اللَّازم لمقابلة التَّوحيد بإبطال الشِّرك والكفر، ومنه سُمِّي من تُقبل إحدىٰ قدميه علىٰ الأخرىٰ حنيفا، فإنَّه سُمِّي بذلك لأنَّ كلَّ واحدة من القدمين تقبل علىٰ الأخرىٰ في باطنها، وليس لأنها مالت، وفرقٌ بين تفسير اللَّفظ بما وضع له في اللِّسان العربي وتفسيره بلازمه، ومن هٰذا الجنس قول جماعة من أهل العلم في تفسير الرَّبِّ في الوضع اللُّغوي بأنَّه المعبود، وهٰذا المعنىٰ لا يُعرف في لسان العرب، وإنَّما يُعرف لازمًا، فإنَّ الرَّبَّ يرجع في كلام العرب كما ذكره ابن الأنباري وغيره إلىٰ ثلاثة معاني هي: السَّيِّد والمالك والمصلح للشَّيء القائم عليه، وما عدا ذلك فإنَّه من لوازم معناه، فإذا قيل: الرَّب هو المعبود لا يصلح تفسيرًا لما وضع له في اللِّسان العربي ببيان معناه، وإنَّما هو لازِمه.))

ومن اللَّطائف القرآنية أنَّ الحنيف حيث ذُكر في القرآن وقع منصوبًا؛ لأنَّ باب النَّصب عُظْمُه المفعوليَّة ففي الإتيان بها منصوبةٌ إغراء بلزومها أن يكون الإنسان حنيفًا؛ فنُبِّه بالبناء علىٰ المعنىٰ المراد.

﴿دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾: دِينُ الْكُتُبِ الْقَيِّمَةِ، وَهُوَ الإِسْلَامُ.

﴿ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦﴾: الْخَلِيقَةُ.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾: جَنَّاتِ إِقَامَةٍ، لَا يَتَحَوَّلُونَ عَنْهَا.

مَعَانِي سُورَةِ الزَّلْزَلَةِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١﴾: رُجَّتْ رَجًّا شَدِيدًا.[1]

---

(١) قوله: (رُجَّت رَجًّا شَدِيدًا) يعني جميع الأرض، وذلك الزِّلزالُ علىٰ تلك الصُّورة يختصُّ بتلك الحال، فإنَّ الزَّلازل التي تنتاب الأرض نوعان:

أحدهما: زلزالٌ في الأرض ((زلزلة خاصَّة))، وهٰذا وصفٌ لكلِّ زلزالٍ يكون قبل يوم القيامة، فإنَّه يكون في جهة دون جهة.

والثَّاني: زلزالُ الأرض ((زلزلة عامَّة))، وهٰذا مختصٌّ بيوم القيامة، فإنَّ الزَّلزلة فيه تغمرُ الأرض جميعًا، فلا يقع قبل يوم القيامة زلزالٌ يغمر الأرض جميعًا؛ بل إذا غُمرت الأرض بالزَّلزلة كان ذلك إيذانًا بيوم القيامة، فالعلامة هي زلزلة الأرض كلِّها، وليست وقوعَ زلزلةٍ فيها.

((والزَّلزلة الخاصَّة تكون قبل الزَّلزلة الكبرىٰ وهي بمنزلة المقدِّمات، ومن طرائق الشَّريعة في بيان الآيات العظيمة جعل مقدِّمات لها فمن ذلك زلزلة يوم القيامة، فإنَّ ما قبلها مقدِّمة لها.

ونظير ذلك الدَّجال الأكبر فإنَّ الدَّجال الأكبر يتقدَّمه دجَّالون كُثر أشار إليهم النَّبي ﷺ في حديث ثوبان في «صحيح مسلم» وفيه لا تقوم السَّاعة حتىٰ يخرج كذَّابون ثلاثون» فهؤلاء الثَّلاثون هم توطئة وتقدمة لخروج الدجال الأكبر.

وبه تعلم النُّكتة في دوام استعاذة الإنسان وأمره بذلك من الدَّجَّال في كل صلاة؛ لأنَّ استعاذته منه يندرج استعاذته من كل دجال دُونه، فإن استعاذ الإنسان في كلِّ صلاة من الدَّجَّال الأكبر؛ فإنه يتوقَّىٰ بذلك ما دونه من الدَّجاجلة. أشار إلىٰ هٰذا المعنىٰ أبو العباس ابن تيمية في «منهاج السُّنّة النبوية» وابن سعدي في «مجموع الفوائد».))

﴿أَثْقَالَهَا ۝٢﴾: مَا تَثْقُلُ بِهِ مِمَّا فِي بَطْنِهَا.(١)

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾: يُقْبِلُونَ إِلَىٰ المَوْقِفِ والْحِسَابِ.

﴿أَشْتَاتًا﴾: أَصْنَافًا مُتَفَرِّقِينَ.

﴿ذَرَّةٍ﴾: هِيَ النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ.

مَعَانِي سُورَةِ العَادِيَاتِ

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾: أَيِ الْعَادِيَاتِ عَدْوًا بَلِيغًا قَوِيًّا، يَصْدُرُ عَنْهُ الضَّبْحُ، وَهُوَ صَوْتُ نَفَسِهَا فِي جَوْفِهَا، عِنْدَ اشْتِدَادِ عَدْوِهَا.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾: الْمُوقِدَاتِ بِحَوَافِرِهِنَّ مَا يَطَأْنَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَحْجَارِ، فَتَقْدَحُ النَّارُ وَيَتَوَقَّدُ شَرَرُهَا مِنْ ضَرْبِ حَوَافِرِهِنَّ إِذَا عَدَوْنَ وَالْمُرَادُ بِهَا الْخَيْلُ.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ الْمُبَاغِتَاتِ الْأَعْدَاءَ بِمَا يُكْرَهُ.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ﴾: فَهَيَّجْنَ وَأَصْعَدْنَ بِعَدْوِهِنَّ وَغَارَتِهِنَّ.

﴿نَقْعًا ۝٤﴾: غُبَارًا.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾: أَيْ تَوَسَّطْنَ بِرَاكِبِهِنَّ.

﴿لَكَنُودٌ ۝٦﴾: لَكَفُورٌ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ.

---

(١) قوله في تفسير الأثقال: (مَا تَثْقُلُ بِهِ مِمَّا فِي بَطْنِهَا) إشارة إلىٰ عمومه: الموتىٰ وغيرهم، فإنَّ ما يُخرج حينئذ ليس الموتىٰ فحسب؛ بل ثبت في «صحيح مسلم» إخراج الأرض كنوزَها، وحينئذٍ عدل المصنِّف عمَّا جرىٰ عليه بعض المصنِّفين في معاني كلم القرآن من قولهم: ﴿أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ الموتىٰ إلىٰ قوله: (مَا تَثْقُلُ بِهِ مِمَّا فِي بَطْنِهَا) ليعمَّ الموتىٰ لغيرهم تبعًا لما صحَّ من الحديث.

﴿ٱلْخَيْرِ﴾ هُوَ الْـمَالُ.[1]

مَعَانِي سُورَة القَارِعَة

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ
٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ
٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١﴾: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّها تَقْرَعُ قُلُوبَ النَّاسِ وَتُزْعِجُهُمْ بِأَهْوَالِـهَا.[2]

﴿كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤﴾ الْفَرَاشُ: فَرْخُ الْـجَرَادِ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْضِهِ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَالْـمَبْثُوثُ: الْـمُنْتَشِر.

﴿كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ٥﴾: كَالصُّوفُ الْـمُتَمَزِّقِ الَّذِي فُرِّقَتْ بَعْضُ أَجْزَائِهِ عَنْ بَعْضٍ.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩﴾: مَأْوَاهُ وَمَسْكَنُهُ النَّارُ، تَكُونُ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ الَّتِي يَأْوِي إِلَيْهَا وَيَلْزَمُهَا.

﴿حَامِيَةُۢ ١١﴾: شَدِيدَةُ الْـحَرَارَةِ، مِنَ الوُقُودِ عَلَيْهَا.[3]

---

(١) لقوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾[البقرة:١٨٠]؛ يعني إن ترك مالًا، والمالُ خيرٌ مقيَّدٌ؛ لأنَّ الخير نوعان:

أحدهما: الخير المطلق، وهو ما تعلَّق بالأمور الدِّينية.

والآخر: الخير المقيَّد، وهو ما تعلَّق بالأمور الدُّنيوية، ومنها المال فإنَّه يكون في حال دون حال، فمن أخذه من وجه مباح وأدَّىٰ حقَّ الله فيه؛ كان خيرًا عليه، ومن أخذه من وجه حرام أو حبس حقَّ الله فيه كان حرامًا عليه.

((هٰذه السُّورة هي سورة الخيل لتعظيمها بالقسم بها في صَدْرها، وأعظم مركوبات العرب هي الخيل والإبل، فأمَّا الخيل فعُظِّمت في «سورة العاديات»، وأمَّا الإبل فعُظِّمت في «سورة الغاشية» في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧﴾)) .

(٢) قوله: (من) للتَّبعيض إشارة إلىٰ كثرة أسماء يوم القيامة، ومن سَنن العرب في كلامهم أنَّ المعظَّم تكثُر أسماؤه؛ ولأجل هٰذا كثُرت أسماء الله ﷻ وأسماءُ رسوله ﷺ لعِظَم شأنهما، وتكثير أسماء يوم القيامة هو لأجْل ذلك.

(٣) ((الوُقود بالضَّم وهو الإيقاد، والوَقود بالفتح ما تُسعَّر به النَّار من خلقٍ أو حطب)).

مَعَانِي سُورَةِ التَّكَاثُرِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾

﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾: شَغَلَكُمْ عَمَّا خُلِقْتُمْ لَهُ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللهِ.

﴿ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾: التَّفَاخُرُ بِالْكَثْرَةِ فِيمَا يُرْغَبُ فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا كَالنِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالْأَمْوَالِ.(١)

﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾﴾ الْعِلْمُ الثَّابِتُ فِي الْقَلْبِ.

﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ عِيَانًا بِأَبْصَارِكُمْ(٢)

مَعَانِي سُورَةِ الْعَصْرِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

---

(١) والأعيان المرغَّب فيها من الدُّنيا هي المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾[آل عمران:١٤] إلىٰ تمام الآية.

(٢) هٰذه السُّورة ذكر فيها مرتبتان من مراتب اليقين الثَّلاث؛ فإنَّ اليقين له ثلاث مراتب:

المرتبة الأولىٰ: علمُ اليقين؛ وهو العلم الثَّابت في القلب.

المرتبة الثَّانية: عينُ اليقين؛ وهو معاينة ذلك بالبصر.

والمرتبة الثَّالثة: حقُّ اليقين؛ وهو الكينونة فيه والمصير إليه.

فإذا صار الإنسان في ضمن مقصوده ممَّا يطلب إدراكه سُمِّي بحق اليقين. فعِلْمُنا بالجنَّة والنَّار الآن علم يقين، فإذا أقبل النَّاس عليهما صار علمهم بهما عين اليقين، فإذا دخل أهل الجنة الجنَّة، ودخل أهل النار النَّار صار علم كلِّ طائفة هو حقُّ اليقين.

﴿وَٱلْعَصۡرِ ۝١﴾: الْوَقْتُ الْمَعْرُوفُ آخِرَ النَّهَارِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ.[1]

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾: يَأْمُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهِ.

---

(١) فسَّر المصنِّف وفَّقه الله العصر بالوقت المعروف؛ لأنَّه المعهود في الخطاب الشَّرعي، فإنَّ العصر لم يقع في كلام الله عَزَّوَجَلَّ ولا كلام النَّبي ﷺ إلَّا علىٰ إرادة هٰذا المعنىٰ.

ومن قواعد التَّفسير: أنَّ المعهود في خطاب الشَّرع من المعاني مُقدَّم علىٰ غيره.

والعصر إذا ذُكر في الأحاديث النَّبويَّة وفي عُرْف الصَّحابة والتَّابعين وأتباع التَّابعين لا يريدون به الدَّهر، وإنَّما يريدون به الوقت المعروف آخر النَّهار، ووجب حمل ذلك علىٰ معهودهم، وهٰذه قاعدة نافعة يُستعان بها في ترجيح المحتملات في القرآن الكريم.

ومنه قوله تعالىٰ في سورة التَّوبة: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ فإنَّ أهل العلم بالتَّفسير مختلفون في الفرقة النَّافرة هل هي التي تطلب العلم أو التي تجاهد؟ علىٰ قولين، أصحّهما أنَّ النَّافرة هي المجاهدة؛ لأنَّ اسم النَّفير في القرآن إذا أُطلق لا يراد به إلَّا الجهاد فتعيَّن حَمْل الآية عليه، واختار هٰذا أبو العباس ابن تيمية الحفيد وتلميذه ابن القيم في «مفتاح دار السَّعادة»، وهٰذا أصلٌ في التَّفسير تنبغي ملاحظته، ومن النَّاس من يفسِّر آيات القرآن الكريم بالنَّظر إلىٰ الوضع اللُّغوي فقط دون النَّظر إلىٰ المعهود منه في خطاب الشَّرع فيقع في الغلط.

ومنه فيما يتعلَّق ببيان معاني الحديث في ذكر ما يعرض للنَّاس في الموقف ما جاء في الصَّحيح «ثم تَقْرُب الشَّمسُ منهم قدر ميل» والميل في عُرف الخطاب الشَّرعي وكلام الصَّحابة والتَّابعين وأتابع التَّابعين لا يريدون به إلَّا ميل المسافة، ولا يريدون به ميل المُكحُلة فوجب حمله عليه.

((ومنه السَّبيل إذا ذكر فهو سبيل الله في القرآن والسُّنَّة، فمعهود خطاب الشَّرع هو الجهاد، إلَّا موضعًا واحدًا وهو الحجّ، فإنَّ الحج في دفع الزَّكاة يندرج في اسم سبيل الله؛ ثبت ذلك عن ابن عمر ولا يعرف له مخالف من الصَّحابة، فهو رواية عن الإمام أحمد، ومعرفة معهود الخطاب الشَّرعي وحال الزَّمن النَّبوي يندفع به عن الإنسان الغلط في فهم الشَّرع.

ومن مُثُلِ ذلك الأحاديث الواردة في فضل المصافحة فإنَّ هٰذه الأحاديث إذا فُهمت باعتبار الوضع اللُّغوي قال المتكلِّم بجواز مصافحة الرَّجل للمرأة؛ لأنَّها أحاديث عامَّة؛ لٰكن هٰذا العموم الذي ادَّعاه المدَّعي باطلٌ لعدم جريان العُرف به في زمن النُّبوَّة، ولا في عهد الصَّحابة والتَّابعين وأتباعهم، فلم يُحفظ قطٌّ في خبرٍ أنَّ أحدًا في الزَّمن النَّبوي سواء كان النَّبي ﷺ أو في الزَّمن الذي بعده من الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم أنَّه صافحَ امرأةً فلا يمكن القول أنَّ المصافحة عامَّة. ونظير هٰذا الضَّرب بالدُّفوف في الأعراس، فإنَّ الأحاديث الآمرة به جاءت باعتبار الوضع اللُّغوي عامَّة؛ لٰكن باعتبار العُرف الشَّرعي في العهد النَّبوي وما بعده لا يُحفظ أنَّ رجلًا ضرب بدفٍّ في عرس وإنَّما هو فرح مختصٌّ بالنِّساء، ومعرفة معهود الخطاب الشَّرعي من أجلىٰ الطَّرائق الَّتي تبيِّن المشكلات. فينبغي أن يعتني طالب العلم بذلك عناية فائقة كيلا يقع في الغلط في الفهم علىٰ الشَّريعة.))

مَعَانِي سُورَةِ الْهُمَزَةِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾

﴿وَيْلٌ﴾: كَلِمَةُ وَعِيدٍ وَتَهْدِيدٍ، تَتَضَمَّنُ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ بِسُوءِ الْـحَالِ. (١)

﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ هُوَ الَّذِي يَهْمِزُ النَّاسَ بِفِعْلِهِ، وَيَلْمِزُهُمْ بِقَوْلِهِ، فَالْـهَمَّازُ: مَنْ يَعِيبُ النَّاسَ، وَيَطْعَنُ عَلَيْهِمْ بِالإِشَارَةِ، وَاللَّمَّازُ: مَنْ يَعِيبُهُمْ بِقَوْلِهِ، وَالْـهُمَزَةُ وَاللُّمَزَةُ وَالْـهَمَّازُ وَاللَّمَّازُ لِلْمُبَالَغَةِ. (٢)

﴿لَيُنبَذَنَّ﴾: لَيُطْرَحَنَّ.

﴿الْحُطَمَةِ ۝٤﴾: كَثِيرَةَ الحَطْمِ والهَشْمِ لِـمَا يُلْقَىٰ فِيهَا.

﴿الْمُوقَدَةُ ۝٦﴾: الْـمُسَعَّرَةُ الْـمُشْعَلَةُ بِالنَّاسِ وَالْـحِجَارَةِ.

﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧﴾: تَنْفُذُ مِنَ الْأَجْسَادِ إِلَىٰ الْقُلُوبِ فَتُحْرِقُهَا، وَأَلَـمُ حَرْقِ الْقُلُوبِ أَشَدُّ مِـنْ أَلَـمِ غَيْرِهَا لِلُطْفِهَا. (٣)

---

(١) ما ذكره المصنِّف من معنىٰ كلمة (ويل) هو المعروف في لسان العرب، أمَّا المروي أنَّه واد في جهنَّم، فلم يثبت فيه حديث، وللعرب خمسُ كلماتٍ تريد بها التَّهديد والوعيد لا سادس لها ذكرها ابن خَالَوَيْه في كتاب «ليس» هي: ويلٌ، وويحٌ، وويكٌ، ويسٌ، وويبٌ. وإليهنّ أشرتُ بقولي:

وَيْلٌ وَوَيْحٌ ثُمَّ وَيْكٌ وَيْسُ ... وَيْبٌ لِتَهْدِيدٍ تُقَالُ الْخَمْسُ

(٢) قوله: (والهُمزة واللُّمزة والهمَّاز واللَّمَّاز للمبالغة) أي: للتَّعظيم للفعل فإنَّ من طرائق العرب في كلامها إذا عَظَّمت فِعل أحدٍ منسوبًا إليه بَنَتْهُ علىٰ صِيَغ معيَّنة عندهم تُسمَّىٰ بصيغ المبالغة.

(٣) وإنَّما اختيرت القلوب لتكون منتهًى للعذابِ ((لأمرين:

أحدهما: ذُكر هنا لمناسبة الموضع وهو كون حرق القلوب أشدّ من ألم غيرها للطفها، فالقلوب لطيفة وتعذيب المحل اللَّطيف تقع به شدَّة كما أنَّ حرق البَشَرة الرَّقيقة يكون أشدُّ ألمًا.

والآخر:)) لأنَّها محلُّ الإرادة، فمن كفر بإرادته واختياره الَّتي محلُّها القلب كان جزاؤه أن يصل عذابُه إلىٰ هٰذا المحل الذي هو مبتدأ الشَّرِّ بالنِّسبة له في ترك الهُدىٰ واختيار الضَّلال.

﴿عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةُۢ ٨﴾: مُغْلَقَةٌ عَلَيْهِمْ.

﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾: فِي أَعْمِدَةٍ طَوِيلَةٍ.

مَعَانِي سُورَةِ الْفِيلِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥﴾

﴿تَضۡلِيلٖ ٢﴾: تَضْيِيعٍ.

﴿أَبَابِيلَ ٣﴾: جَمَاعَاتٍ مُتَتَابِعَةً مُتَفَرِّقَةً.

﴿سِجِّيلٖ ٤﴾: طِينٍ مُتَحَجِّرٍ.

﴿فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥﴾: مُحَطَّمِينَ كَبَقَايَا الزَّرْعِ الَّذِي دَخَلَتْهُ الْبَهَائِمُ فَأَكَلَتْهُ، وَدَاسَتْهُ بِأَرْجُلِهَا، وَطَرَحَتْهُ عَلَى الْأَرْضِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ أَخْضَرَ يَانِعًا.[1]

مَعَانِي سُورَةِ قُرَيْشٍ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾: مَا لَزِمُوهُ وَاعْتَادُوهُ مَعَ الْأُنْسِ بِهِ.

﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾: لُزُومِهِمْ وَاعْتِيَادِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ، وَالصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ.[2]

---

(١) ((هٰذه السُّورة دالَّة علىٰ مولد النَّبيِّ ﷺ لما بينهما من التَّلازُم؛ فإنَّه لمَّا أهلك أصحاب الفيل وُلد النَّبيُّ ﷺ حينئذٍ، فإنَّ دلالة التَّفسير باللَّازم ممَّن اعتبرها من المحدِّثين البخاري رحمه الله فإنَّه قال: (باب الحوض) وبعدها قال: (وقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ مع أنَّ الكوثر عند البخاري هو نهرٌ في الجنَّة، لٰكن لمَّا كان الحوض يُمدُّ من ميزابين من الكوثر كما ثبت في «صحيح مسلم» فبينهما تلازم ذكر تفسير الحوض بآية الكوثر)).

(٢) اليمن بارد في الشِّتاء؛ فأهل صنعاء ليست عندهم مكيِّفات في بيوتهم؛ لأنَّ صنعاء باردة.

فالمراد اليمن الأسفل وهي أرض تِهَامة بكسر التَّاء ((وهي اليوم مقصومة بين البلاد السُّعوديَّة والبلاد اليمنيَّة))، لأنَّ أرض تهامة في الشِّتاء دافئة، وأمَّا الجبال تكون باردة.

=

مَعَانِي سُورَةِ المَاعُونِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾

﴿بِٱلدِّينِ ١﴾: بِالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

﴿يَدُعُّ﴾: يَدْفَعُ بِعُنْفٍ وَشِدَّةٍ.[1]

﴿يَحُضُّ﴾: يَحُثُّ.[2]

﴿يُرَآءُونَ ٦﴾: يُظْهِرُونَ أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَةَ لِيَرَاهَا النَّاسُ؛ فَيَحْمَدُوهُمْ عَلَيْهَا.[3]

﴿ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾: الزَّكَاةُ وَمَا لَا تَضُرُّ إِعَارَتُهُ، مِمَّا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى عَمَلِ الْبَيْتِ مِنْ آنِيَةٍ وَآلَةٍ؛ وَمِنْهَا الْقِدْرُ وَالدَّلْوُ وَمَا جَرَتِ الْعَادَةُ بِبَذْلِهِ.

مَعَانِي سُورَةِ الْكَوْثَرِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾

=

((وهٰذه السُّورة فيها ذكر قبيلة النَّبيِّ ﷺ تعظيمًا لها)).

(١) ((يدلُّ علىٰ ذلك التَّشديد، ذكرنا لكم أنَّ البناء اللُّغوي بحروفه وحركاته يدلُّ علىٰ المعاني غالبًا.))

(٢) ((وأعلىٰ منهما (المَكُّ) وهو القطع.))

(٣) فالرِّياء -كما سلف- هو إظهار العبد عمله الصَّالح ليراه النَّاس فيحمدوه عليه.

وفرق بينه وبين التَّسميع، كما في حديث جندب في الصَّحيح «من راء راء الله به، ومن سمَّع سمَّع الله به» لأنَّ الرِّياء متعلَّقُه الرُّؤية البصريَّة أمَّا التَّسميع فمتعلَّقُه السَّمع.

[فائدة:] يأتي الواحد فيقول: سمِّع عليَّ هٰذا المتن ويسمُّونه تسميعًا، هٰذا غلطٌ لُغويٌّ؛ لا يوجد تسميعٌ بهذا المعنىٰ، يسمَّىٰ عرْضًا أو إسماعًا. والأكمل أن يُسمَّىٰ عرضًا.

﴿ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾: هُوَ نَهَرٌ فِي الْـجَنَّةِ.[١]

﴿شَانِئَكَ﴾: مُبْغِضَكَ.

﴿ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾: الْـمَقْطُوعُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.[٢]

مَعَانِي سُورَةُ الْكَافِرُونَ

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾: لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ مِنَ الْآلِـهَةِ فِي الْـمُسْتَقْبَلِ، كَمَا أَنِّي لَا أَعْبُدُهَا الْآنَ.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾: قَالَهُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الثَّبَاتِ فِي بَرَاءَتِهِ مِنْ آلِـهَتِهِمْ، وَتَأْيِيسِهِمْ مِنْ عِبَادَتِهِ إِيَّاهَا.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾: الَّذِي رَضِيتُمُوهُ وَهُوَ الشِّرْكُ.

﴿وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾: الَّذِي رَضِيَه لِي رَبِّي فَرَضِيتُ بِهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ.[٣]

---

(١) فسَّر المصنِّف وفَّقه الله الكوثر بتخصيصه بالنَّهَر الكائن في الجنَّة دون كثرة الخير مع أنَّ الكوثر في لسان العرب فَوْعَلٌ من الكثْرة؛ لأنَّ كثْرة الخيْر في الآخرة حظٌّ لكلِّ من دخل الجنَّة، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ وعد كلَّ من دخل الجنَّة بعطاء غير ممنون ولا مجذوذ؛ يعني عطاءً كثيرًا، فلا يكون ذلك مناسبًا للامتنان علىٰ النَّبيِّ ﷺ، وإنَّما المناسب لامتنان عليه أن يكون ما يُعطاه النَّبي ﷺ خاصًّا به، وهو نهر الجنَّة الذي يكون فيها وهو أعظمها وأجلُّها، فالمناسِب لمشهد الامتنان أن يكون الكوثر هو نهرٌ في الجنَّة لا كثرة الخير؛ لأنَّ كثرة الخير أمرٌ مشتركٌ بين النَّبيِّ ﷺ وغيره ممَّن يدخل الجنَّة.

(٢) الذي قال في هٰذه الآية: ﴿ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ هو الذي يُقطع نسبه فلا يكون له ذكرٌ لانقطاع نسله!! منهم العاص بن وائل له ذُرِّيَّة فابنه هو عمرو بن العاص، وعمرو ابنه عبد الله ومنه ذرِّيّة، فهو مخالف للواقع. والمناسِب لمشهد الامتنان علىٰ النَّبيِّ ﷺ بالخير أن يكون مبغضه متوعَّدا بضدِّ الخير وهو قطعه من كلِّ خير.

(٣) ((فاوَتَ المصنِّف بين ذكر الرِّضا في المقامين فقال في دين الكفَّار: (﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾: الَّذِي رَضِيتُمُوهُ) وقال في دين النَّبيِّ ﷺ: (الَّذِي رَضِيَه لِي رَبِّي فَرَضِيتُ بِهِ) نسبةً إلىٰ فعل الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّه رَضِيَ لِنَبِيِّه ﷺ وللمؤمنين الإسلام دينًا فَرَضِيَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ، وأمَّا دين المشركين فإنَّ الرِّضَا وقع من فاعليه وهم المشركون.))

مَعَانِي سُورَةِ النَّصْرِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾: فَتْحُ مَكَّةَ.

﴿أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾: جَمَاعَاتٍ تِلْوَ جَمَاعَاتٍ.

﴿تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾: يُوَفِّقُ الْخَلْقَ لِلتَّوْبَةِ وَيَقْبَلُهَا مِنْهُمْ.(١)

مَعَانِي سُورَةِ الْمَسَدِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾: خَسِرَتْ يَدَاهُ، وَهُوَ مِنْ أَعْمَامِ النَّبِيِّ ﷺ.(٢)

---

(١) ذكر المصنِّفُ وفَّقه الله أنَّ معنىٰ ﴿تَوَّابًا﴾ أنَّه (يوفِّق الخلق للتَّوبة ويقبلها منهم)، فتوبة الله علىٰ عباده تجمع معنيين:

أحدُهما: التَّوفيقُ إليها.

والثَّاني: قَبولها منهم.

ذكر هٰذا أبو العباس ابن تيميَّة في رسالة «التَّوبة»، وتلميذه ابن القيم في «مدارج السَّالكين».

(٢) كيف يكون معنىٰ ﴿تَبَّتْ﴾ أي خسرت مع ذكره بما يدلُّ علىٰ تعظيمه؛ لأنَّ الكُنية موضوعة عند العرب للتَّعظيم، فكيف ذُكر خُسرانه مع تعظيمه، ولم يُقَل: تبَّ عبد العزَّىٰ وهو اسمه؟

الكنية عند العرب للتَّعظيم، ولذلك تسمية الإنسان نفسَه بالكنية مكروه بأصحِّ قولي أهل العلم، وهو الذي استظهره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» وشيخنا بكر أبو زيد في «معجم المناهي»، والجاري علىٰ ألسنة النَّاس [يتكلَّمون عن أنفسهم]: أبو فلان، هٰذا مكروه.

الإشكال كيف يُذكر بما يعظِّمه؟

[الجواب] لأنَّ ذلك أبلغ في الخُسران، فإنَّ المعظَّم إذا أُذِلّ مذكورًا بما كان فيه تعظيمُه كان أشدَّ في بيان خسرانه وذلِّه.

((والعجيب أنَّه قد يُسمَّىٰ الإنسان بما لا يوافق اسمه فأمُّ جميل حقيقة بأنَّها أمُّ قبيح، ولهٰذا العرب كانت تعتني بموافقة الاسم حقيقة المسمَّىٰ، وإذا وقع علىٰ خلافه كان أعظم في إذلاله، وهٰذا وجه طيِّ ذكرها في القرآن بذكرها امرأة، وأمَّا =

﴿وَتَبَّ ١﴾: لَمْ يَرْبَحْ.

﴿وَمَا كَسَبَ ٢﴾: كَسْبُهُ: وَلَدُهُ.

﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ٤﴾: هِيَ أُمُّ جَمِيلٍ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُ أَغْصَانَ الشَّجَرِ الْكَبِيرَةِ ذَاتِ الشَّوْكِ، فَتُلْقِيهَا فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ أَذِيَّةً لَهُ.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ٥﴾: فِي عُنُقِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ؛ وَهُوَ اللِّيفُ الشَّدِيدُ الْخُشُونَةِ إِذَا فُتِلَ وَجُدِلَ كَضَفَائِرِ الشَّعَرِ.

مَعَانِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤﴾

﴿الصَّمَدُ ٢﴾: السَّيِّدُ الْكَامِلُ الْمَقْصُودُ فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ.(١)

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣﴾: لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤﴾: لَا يُكَافِئُهُ أَحَدٌ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي أَسْمَائِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

مَعَانِي سُورَةِ الْفَلَقِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي

=

المتأخِّرون فصاروا لا يبالون فإنَّهم يجعلون لأنفسهم ألقابًا يقصدون بها التَّعظيم وربَّما وقعوا في مخالفتها علىٰ أكمل وجه وأشدِّه، وفي ديوان الصَّنعاني قوله:

تَسَمَّىٰ بِنُورِ الدِّينِ وَهُوَ ظَلَامُهُ ... وَهَذَا بِشَمْسِ الدِّينِ وَهُوَ لَهُ كَسْفُ)).

(١) فصمدانيَّة الله عَزَّوَجَلَّ مركَّبة من شيئين:

أحدهما: كماله في نفسه باستغنائه.

والآخر: تكميله غيرَه باحتياجهم إليه.

فهو صمد بهذا الاعتبار، ذكره أبو العباس ابن تيمية في رسالته في شرح حديث: (قل هو الله أحد) ثلث القرآن.

ٱلۡعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾

﴿أَعُوذُ﴾: أَلْجَأُ وَأَعْتَصِمُ.[1]

﴿ٱلۡفَلَقِ ١﴾: الصُّبْحُ.

﴿غَاسِقٍ﴾: اللَّيْلُ.

﴿إِذَا وَقَبَ ٣﴾: إِذَا اسْتَحْكَمَ ظَلَامُهُ.

﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤﴾: الْأَنْفُسُ السَّوَاحِرُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، اللَّوَاتِي يَسْتَعِنَّ عَلَىٰ سِحْرِهِنَّ بِالنَّفْخِ مَعَ رِيقٍ لَطِيفَةٍ فِي الْعُقَدِ الْـمَشْدُودَةِ عَلَيْهِ.[2]

---

(١) قال المصنِّف وفَّقه الله: (﴿أَعُوذُ﴾: ألجأ وأعتصم) والعوذ لا يكون إلَّا مع ورود المخوِّف، فإذا وُجد المخوِّف كان عوذًا بخلاف اللِّياذ واللَّوذ، فإنَّه يكون علىٰ معنىً؟ قال المتنبِّي:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به فيما أحاذره

فاللَّوذ في المؤمل والعوذ في المخوف، وهٰذه من مبتدعات المتنبِّي في لسان العرب ((الَّتي تبعه عليها بعض المفسِّرين كابن كثير رحمه الله))، فإنَّ اللِّياذ لا يتعلَّق بالمؤمَّل ((بل اللِّياذ كالعياذ))، وإنَّما اللِّياذ عندهم ((مشتمل علىٰ)) الاختفاء بسرّ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗا﴾ [النور:٦٣]؛ يعني يختفون بسر.

والقرآن الكريم أعظم موارد العربيَّة، فإذا أراد أحد أن يعرف مأخذ لفظةٍ عند العرب أو سَنَنه في أمره فلينظر إلىٰ القرآن الكريم قبل غيره، وقد حدَّثني عبد القادر بن كرامة الله البخاري قال: سمعتُ موسىٰ جار الله القازاني مفتي التَّتار في زمانه يقول: **القرآن قاموس الفقراء**. يعني بمنزلة ما يستعينون به علىٰ تفسير الكلام ومعرفته.

(٢) النَّفث شرطه في لسان العرب وجود الرِّيق، فالنَّفث إخراج الهواء مع ريقٍ لطيفة.

والنَّفخ إخراج هواء فقط بدون ريق.

((وإذا أخرجه مع ريقٍ شديدة قيل: بَصَقَ أو بَسَقَ أو بَزَقَ، كلّها لغات، وإذا قيل: تنخَّم، يكون قد أخرج مخاطًا من جوفه))

فـ[النَّفث والنَّفخ] اشتركا في النُّون والفاء، وافترقا في الخاء والثَّاء، وموجب الافتراق الفرق بين الخاء والثَّاء؛ فالخاء من حروف الاستعلاء والثَّاء من حروف الاستفالة، فصار مقابلتُهما بالقوَّة مؤثِّرة فيما يكون من حالهما؛ فالنَّفخ هواء خالصٌ يكون قويًّا، والنَّفث لا يكون هواءً خالصًا؛ بل يكون فيه ريقٌ، ولذلك نزل عن رتبته.

والعرب تفرِّق بين الألفاظ بحرفٍ واحدٍ، فإنَّهم يقولون لِمَا لطُف من تحريك اليد علىٰ البدن: (مسًّا)، ويقولون لما غلظ واشتدَّ: (مشًّا) فمشُّ اليد هو ما يكون فيه غلظة وشدَّة وبخلاف المسّ.

=

مَعَانِي سُورَةِ النَّاسِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

﴿أَعُوذُ﴾: أَلْجَأُ وَأَعْتَصِمُ.

﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾: بِسَيِّدِهِمْ الْـمَالِكِ وَالْـمُصْلِحِ لَـهُمْ.

﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾: مَعْبُودِهِمْ بِحَقٍّ.

﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ هُوَ الشَّيْطَانُ يَتَأَخَّرُ وَيَنْدَفِعُ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ وَاسْتَعَاذَ بِهِ فِي دَفْعِهِ. (١)

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾: يُحَسِّنُ لَـهُمُ الشَّرَّ، وَيُقَوِّي إِرَادَتَهُمْ لَـهُ، وَيُقَبِّحُ لَهُمُ الْـخَيْرَ وَيُثَبِّطُهُمْ عَنْهُ.

=

ويقولون: (جرحٌ) لما خفَّ و(قرحٌ) لما اشتدّ، ولابن القيم كلام نافعٌ في هٰذا المعنىٰ ذكره في «جلاء الأفهام» ينبغي أن يطالعه طالبُ العلم ليستفيد منه في فهم العربيَّة، فإنَّ العربية ليست مبنيَّة علىٰ الحفظ إلَّا لمَّا صار النَّاس محكومين بلوثة العُجْمة وإلَّا فهي مبنيَّة علىٰ فهم مآخذهم.

ومن هٰذا الجنس ما ذُكر أنَّ المازني سُئل: لم سمِّيت الخيل خيلًا؟ قال: أما رأيت ما في مشيتها من الخُيلاء، فقال له رجل: لم سُمِّيت منىٰ منىٰ؟ قال: لما يُمنىٰ فيها من الدِّماء؛ يعني يُهراق من الدِّماء.

وذكر الزَّبيدي في «تاج العروس» أنَّه سأل شيخه عبد الخالق بن أبي بكر المِزْجاجي: لم سُمِّي رئيس القوم رئيسًا؟ قال: لأنَّه يأخذ برأس الرَّجل. يعني يتحكَّم فيه بالإمرة فله نفوذ قول علىٰ الجميع؛ فسُمِّي رئيسًا بذلك، وهٰذا من أعظم موارد فهم العربيَّة، والذي يظنّ أنَّه يفهم العربيَّة بأن يعمد إلىٰ «المصباح» أو «القاموس» ويحفظ الألفاظ يكون فهمه للعربية ضعيفًا؛ ولكن فهم العربيَّة مبنيٌّ علىٰ معرفة مسالِكِهم في الكلام ومآخذهم فيه، وأكثر ما تكون الإفادة في هٰذا من كتب الأوائل ككتب ابن فارس والخليل بن أحمد والأزهري والجوهري فالاستفادة من كتب هؤلاء أنفع من كتب المتأخِّرين كالفيروز أبادي والفيُّومي وابن منظور.

(١) قوله في تفسير (﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ هو الشَّيطان) يريد به الشَّيطان الإنسي أم الجنِّي أم هما معا؟ الشَّيطان الجنِّي؛ لأنَّ إلقاء الشَّيطان الإنسي يسمَّىٰ وشوشةً، وإلقاء الشَّيطان الجنِّي يسمَّىٰ وسوسة، لأنَّ إلقاء الشَّيطان محلُّه الصَّدر، ولا يكون إلَّا بوسوسة، والوسوسة تكون بخفاء، وهي للشَّيطان الجنِّي، أمَّا الشَّيطان الإنسي فهو يوشوش، ولذلك يقال في المُفسد: إنَّه يوشوش بين الخلق؛ يعني ينشر ذلك بما يلقيه علىٰ وجه السِّر.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾: مَحَلُّ وَسْوَسَتِهِ: صُدُورِ الْخَلْقِ مِنَ الْـجِنِّ وَالنَّاسِ.[1]

تمَّ الكتاب بعونِ اللهِ وحُسنِ توفيقِهِ

علىٰ يد جامعه لنفسه، ولمن شاء اللهُ من خلقه

صَالِح بنِ عَبدِ اللهِ بنِ حَمَدٍ العُصَيمِيِّ

غفرَ اللهُ له، ولوالديهِ، ولمشايخِهِ، وللمسلمينَ

فِي غُرَّة ذي القَعدة، سنةَ إحدىٰ وثلاثينَ بعدَ الأَربَعِمائَةِ والأَلْفِ

بمدينةِ الرِّياضِ، حِفظها اللهُ دارًا للإِسلامِ والسُّنَّةِ

(١) وحينئذ يكون العطف بين النَّاس والجِنَّة من عطف العامِّ علىٰ الخاصِّ، فإنَّ النَّاس جنس واسعٌ ومن أفرادهم الجنَّة؛ لأنَّ الإنس والجن كلاهما يعدَّان من النَّاس، لأنَّه من النَّوس وهو الحركة والاضطراب. خلافًا لما أفاض فيه أبو العباس ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، والذي دلَّ عليه الوضع اللُّغوي كما ذكر ثعلب وغيره من القُدامىٰ أنَّ النَّاس اسمٌ للجنِّي والإنسي معًا.